مكتبة الأسرة المسلمة 5

مختصر
الداء والدواء

تأليف

ابن قيم الجوزية

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

٦٩١-٧٥١هـ

اختصره

د. أحمد بن عثمان المزيد

غفر الله له ولوالديه ولزوجته
ولأبنائه وللمسلمين

دار الوطن للنشر

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشَّيخُ الإمامُ أبوعبد الله محمَّدُ ابنُ الشيخِ الصَّالحِ تقيِّ الدينِ أبي مُحمدٍ أبي بكرٍ، المعروفُ بابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ.

ما تقولُ السَّادةُ العلماءُ، أئمَّةُ الدينِ رضيَ اللهُ عنهمْ أجمعينَ في رجلٍ ابتُلِي ببليةٍ، وعلمَ أنَّها إنِ اسْتمرَّتْ بهِ أفسدتْ دنياهُ وآخرتهُ، وقدِ اجْتهدَ في دفعِها عن نفسِه بكلِّ طريقٍ، فما تزدادُ إلَّا توقُّدًا وشدّةً، فما الحيلةُ في دفعِها؟ وَمَا الطَّريقُ إلى كشْفِها؟ فرحمَ اللهُ منْ أعان مُبْتَلًى، واللهُ في عونِ العبْدِ مَا كانَ العبْدُ في عوْنِ أخيهِ، أفتونَا مأجورينَ رحمكمُ اللهُ.

فكتبَ الشَّيخُ رضيَ اللهُ عنهُ:

الحمدُ لله، أَمَّا بعْدُ:

* ثَبتَ في صَحيحِ البخاريِّ[1] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: **"مَا أَنْزَلَ اللهُ داءً إلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً".**

* وَفِي صحيحِ مسلم[2] منْ حديثِ جابرِ بْنِ عبْدِ الله قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **"لِكُلِّ داءٍ دَوَاءٌ؛ فَإِذَا أُصيْبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإِذْنِ الله".**

وهذا يعمُّ أدواءَ القلْبِ والرُّوحِ والبدنِ وأدويتَها، وقدْ جعلَ النبيُّ ﷺ الجهلَ داءً، وجعلَ دواءهُ سؤالَ العُلماءِ.

---

(١) البخاري (٥٦٧٨).

(٢) مسلم (٢٢٠٤).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

وقدْ أخبرَ سبحانهُ عنِ القرآنِ أنَّه شفاءٌ، فقالَ تعالىَ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

و﴿مِن﴾ هاهنَا لبيانِ الجنسِ لا للتبعيضِ؛ فإنَّ القرآنَ كلَّه شفاءٌ، كمَا قالَ في الآيةِ المتقدِّمةِ، فهوَ شفاءٌ للقلوبِ منْ داءِ الجهلِ والشَّكِّ والرَّيبِ، فلمْ ينزِّلِ اللهُ سبحانَه وتعالى منَ السَّماءِ شفاءً قطُّ أعمَّ ولا أنفعَ ولا أعظمَ ولا أنجعَ في إزالةِ الدَّاءِ منَ القُرْآنِ.

وقد ثبتَ في «الصحيحينِ»[1] من حديثِ أبي سعيدٍ قالَ: «**انطلقَ نفرٌ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ في سفرةٍ سافرُوهَا، حتَّى نزلُوا علَى حيٍّ من أحياءِ العربِ فاستضافوهُمْ، فأبَوْا أنْ يضيِّفوهُمْ، فلُدِغَ سَيِّد ذلكَ الحيِّ، فسعوْا لهُ بكلِّ شيءٍ لا ينفعهُ شيءٌ، فقالَ بعضهُم: لَوْ أتيتمْ هؤُلاءِ الرَّهْطَ الذينَ نزلُوا على حيِّنا، لعلَّهُ أنْ يكونَ عِنْدَ بعضِهم شيءٌ، فأتوهُمْ، فقالوا: يا أيُّها الرَّهْطُ، إنَّ سيِّدنَا لُدِغَ، وسعيْنَا له بكلِّ شيءٍ لا ينفعهُ شيءٌ. فهل عندَ أحدٍ منكمْ من شيءٍ؟ فقال بعضهم: نعم واللهِ إنِّي لأرْقِي، ولكنْ واللهِ لقدِ اسْتضفناكُمْ فلمْ تضيِّفونَا، فمَا أنا براقٍ حتى تجعلُوا لي جُعْلًا، فصالَحُوهُمْ على قطيعٍ من الغنمِ، فانطلقَ يتفلُ عليهِ ويقرَأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكأنَّما نَشِطَ من عِقالٍ. فانطلقَ**

---

(١) البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم(٢٢٠١).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

يمْشي، وما بِهِ قَلَبَةٌ [1]، فأوفوهُمْ جُعْلَهمُ الذي صالحوهُمْ عليهِ. فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقَى: لا نفعلُ حتى نأْتي النَّبيَّ ﷺ فنذكر له الذِي كانَ، فننظرُ بِمَا يأمرُنا، فقدمُوا على رسولِ الله ﷺ فذكرُوا له ذلكَ فقالَ: وما يُدريكَ أنَّها رُقْيةٌ؟ ثمَّ قال: قد أصبتُمْ، اقتسمُوا واضربُوا لي معكمْ سهْمًا».

فَقدْ أثَّر هذَا الدَّواءُ في هذَا الدَّاءِ وأزالهُ حتَّى كأنْ لمْ يكنْ، وهوَ أسهلُ دواءٍ وأيسرُه، ولَو أحسنَ العبدُ التَّداويَ بالفاتحةِ لرأى تأثيرًا عَجيبًا فِي الشِّفاءِ.

ومكثتُ بمكةَ مدَّةً يعتَريني أدواءُ ولا أجدُ طبيبًا ولا دواءً، فكنتُ أعالجُ نفسِي بالفاتحةِ، فأرَى لهَا تأثيرًا عجيبًا، فكنْتُ أصفُ ذلكَ لمنْ يشتكِي ألمًا، فكانَ كثيرٌ منهمْ يبْرأُ سريعًا.

ولكنْ هاهنَا أمرٌ ينبغِي التفطُّنُ له، وهوَ أنَّ الأذْكارَ والآياتِ والأدعيَّةَ الَّتي يُستشفى بها ويرقَى بهَا، هي في نفسِها نافعةٌ شافيةٌ، ولكنْ تستدعِي قبولَ المحلِّ، وقوَّةَ همَّةِ الفاعلِ وتأثيرِه، فمتَى تخلَّفَ الشفاءُ كانَ لضعفِ تأثيرِ الفاعلِ، أو لعدمِ قبولِ المحلِّ المنفعلِ، أو لمانعٍ قويٍّ فيه يمنعُ أن ينجعَ فيهِ الدَّواءُ.

وقالَ أبُو ذرٍّ: "يَكْفِي منَ الدُّعاءِ معَ البرِّ، ما يكفِي الطعامَ منَ الملحِ"

* * *

(١) قلبة: أي ألم وعلة. انظر النهاية (٤/ ٩٨).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

فصل
[الدُّعاءُ مِنْ أنْفعِ الأدويةِ]

والدُّعاءُ مِنْ أنفعِ الأدويةِ، وهو عدوُّ البلاءِ، يدافعُه ويعالجُه، ويمنعُ نزولَه ويرفعُه، أو يخفِّفُه إذا نزلَ، وهوَ سلاحُ المؤْمنِ.

ولهُ معَ البلاءِ ثلاثةُ مقاماتٍ:

- **أحدُها**: أنْ يكونَ أقوى منَ البلاءِ فيدفعُه.
- **الثَّانِي**: أن يكونَ أضْعفَ منَ البلاءِ فيقْوَى عليهِ البلاءُ، فيصابُ بِهِ العبْدُ، ولكنَّه قدْ يخفِّفُه وإنْ كانَ ضعيفًا.
- **النَّالثُ**: أنْ يتقاومَا ويمنعَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَهُ.

ومنْ أنفعِ الأدويةِ: الإلحاحُ في الدُّعاءِ:

* وقدْ روَى ابْنُ ماجه فِي سننِهِ[1] منْ حديثِ أبِي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ".

* * *

فصل
[مِنَ الآفاتِ الَّتِي تمنعُ قبولَ الدُّعاءِ]

ومنَ الآفاتِ الَّتِي تمنعُ ترتُّبَ أثرِ الدُّعاءِ عليْهِ: أَنْ يستعجلَ العبدُ، ويستبْطئَ الإِجابةَ، فيستحسرَ ويَدَعَ الدُّعاءَ، وهو بمنزلةِ مَنْ بَذَر بذرًا أَو

---

(١) ابن ماجه (٣٨٢٧).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

غَرس غَرسًا، فجعلَ يَتعاهدُه ويسْقِيه، فلمَّا استبطَأ كمالَه وإدراكَه تركَه وأهْملَه.

* وفي صحيحِ البُخاريِّ[1] مِن حديثِ أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "يُسْتجابُ لأحدِكُمْ ما لَمْ يعجلْ، يقولُ: دعوتُ فلمْ يُسْتَجَبْ لِي".

* * *

فَصْل
[حضورُ القلبِ مع الدُّعاءِ]

وإذَا جُمِعَ مع الدُّعاءِ حضورُ القلْبِ وجمعيَّتُهُ بكلِّيَّتِه على المطلوبِ، وصادفَ وقتًا من أوقاتِ الإجابةِ السِّتَّة وهِي:

الثُّلثُ الأخيرُ من الليْلِ، وعندَ الأذانِ؛ وبين الأذانِ والإقامةِ، وأدبارُ الصَّلواتِ المكتوباتِ، وعندَ صعودِ الإمامِ يومَ الجمعةِ على المنْبرِ حتَّى تُقْضَى الصلاةُ، وآخرُ ساعةٍ بعدَ العصْرِ من ذلك اليوْمِ.

- وصادفَ خُشوعًا في القلْبِ، وانْكسارًا بينَ يدي الربِّ، وذُلًّا له وتضرُّعًا ورِقَّةً.

- واستقْبلَ الداعي القبْلةَ.

- وكانَ علَى طهارةٍ.

- ورفعَ يديْهِ إلى الله.

- وبدأَ بحمْدِ الله والثَّناءِ عليْهِ.

---

(١) البخاري (٦٣٤٠).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

- ثُمَّ ثنَّى بالصَّلاةِ عَلَى محمَّدٍ عبْدِه ورسولِهِ ﷺ.
- ثُمَّ قدَّم بيْنَ يدَيْ حاجتِه التوْبةَ والاسْتغفارَ.
- ثُمَّ دخلَ على الله، وألحَّ عليْهِ في المسْألةِ، وتملَّقه ودعاهُ رغْبةً ورهْبةً.
- وَتوسَّلَ إليْهِ بأسْمائِهِ وصفاتِهِ وتوْحيدِهِ.
- وقدَّمَ بينَ يديْ دعائِهِ صدقةً، فإنَّ هذا الدُّعاءَ لا يكادُ يُرَدُّ أبدًا، ولا سيِّما إنْ صَادف الأدْعِيةَ الَّتي أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّها مظنَّةُ الإجابةِ، أَو أنَّها متضمِّنةٌ للاسْمِ الأعْظمِ.

* **فمنْها مَا فِي السُّننِ وصحيحِ ابْنِ حبَّان[1] من حديثِ عبْدِالله بن بُرَيْدةَ، عن** أبيهِ أنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجُلًا يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بأنِّي أشْهدُ أنَّك أنت اللهُ لا إلهَ إلَّا أنتَ، الأحَدُ الصَّمدُ الَّذِي لم يَلِدْ ولمْ يُولدْ ولم يكُنْ لهُ كُفوًا أحدٌ، فَقالَ: **"لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"** وَفِي لفظٍ: **"لقدْ سألَ اللهَ باسمِه الأعْظمِ"**.

* **وفي جامعِ التِّرمذيِّ، وصحيحِ الحاكمِ[2] من حديثِ سعْدِ بْنِ أَبي وقَّاصٍ عنِ** النَّبيِّ ﷺ قالَ: **"دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحوْتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧]، **إِنَّه لمْ يَدْعُ بهَا مسلمٌ فِي شيءٍ قطُّ إِلَّا استجابَ اللهُ لهُ"**.

---

(١) أبوداود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في الكبرى (١٩٩٨)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩١).

(٢) الترمذي (٣٥٠٥)، والحاكم (١/ ٥٠٥).

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/

* وفي الصَّحيحينِ[1] من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ: "أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ عندَ الكربِ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ، لَا إلهَ إلَّا اللهُ ربُّ السَّمواتِ السَّبْعِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ".

* وفي مسند الإمام أَحْمَدَ[2] أيضًا منْ حديثِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: "مَا أصابَ أحَدًا قَطُّ هَمٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إنِّي عبدَك ابنُ عبدِك ابنُ أمتِك، ناصيتِي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألُك اللهمَّ بكلِّ اسْمٍ هو لكَ، سمَّيْتَ به نفسَك، أوْ علَّمْتَه أحدًا مِن خلقِك، أوْ أنزلتَه فِي كتابِك أوْ استأْثرْتَ بهِ فِي علمِ الغيبِ عندكَ أنْ تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبِي، ونورَ صدرِي، وجَلاءَ حزنِي، وذهابَ همِّي، إلَّا أذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ همَّهُ وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرحًا، فقيلَ: يا رسولَ الله، أَلَا نتعلَّمُها؟ قالَ: بلَى ينبغِي لمنْ سمعَها أنْ يتعلَّمَها".

* * *

فصل
[شُروطُ الدُّعاءِ المقبولِ]

إذَا كانَ الدُّعاءُ فِي نفسِه غيرَ صالحٍ، أو الدَّاعي لَمْ يجمَعْ بين قلبِه ولسانِه فِي الدُّعاءِ، أو كَان ثَمَّ مانعٌ منَ الإجابةِ لمْ يحصلِ الأثرُ.

---

(١) البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) المسند (١/ ٣٩١، ٤٥٢).

ولقدْ دلَّ العقلُ والنَّقْلُ والفطرُ على أنَّ التقرُّبَ إلَى ربِّ العالمينَ، وطلبَ مرضاتِه، والبرَّ والإحسانَ إلَى خلقِه منْ أعظمِ الأسبابِ الجالبَةِ لكلِّ خيرٍ، وأضدادُها منْ أكبرِ الأسبابِ الجالبَةِ لكلِّ شرٍّ، فما استُجلِبتْ نِعمُ الله تعالَى واستُدْفعَتْ نقمُه بمثلِ طاعتِه والتقرُّب إليْهِ، والإحْسانِ إلَى خَلْقِه.

* * *

Created in Photo-to-PDF One Click Converter. Download here: https://firehawk.ai/phototopdf/